يرى الأستاذ ( T.L. McCarty) في مقالته (أفكار او تأملات في حقل انثروبولوجيا التربية-الماضي والحاضر والمستقبل) انه من المسلم به من أن البداية الرسمية لأنثروبولوجيا التربية قد أخذت مكانها في الولايات المتحدة الأمريكية في خمسينيات القرن الماضي ومع ذلك، لا ينبغي للباحثين تحديد بداية رسمية لأنثروبولوجيا التربية من خمسينيات القرن الماضي، وانما يمكن تعقب بعض الدراسات والمنظورات المعنية بمسائل التربية والتعليم مع التطور الأكاديمي للأنثروبولوجيا وتبلورها كحقل معرفي متخصص بدراسة الإنسان(McCarty 2005: p299).

وتوضح الاستاذة (E. Eddy)، الى ان التمييز للسنوات التأسيسية، كان من خلال اعمال علماء الأنثروبولوجيا الثقافية ودراساتهم التي تعاملت مع انساق التربية وكذلك مع قضايا التطبيع الثقافي(Enculturation) المتناظرة مع المدة الزمنية المحددة بين (1925-1954) وقد وفرت قائمة واسعة من علماء الأنثروبولوجيا الذين توزعت اعمالهم بطرق مختلفة ذات طابع رسمي لانساق التربية وقضايا التطبيع الثقافي. ومع ذلك، عدت العلاقة منذ البداية، بين الممارسة الإثنوغرافية في البيئات التعليمية والتنظير الأنثروبولوجي عن مسائل المعرفة أو نقل الثقافة مصدراً للنقاش والجدل بين علماء الانثروبولوجيا، وهذا ما دفع الأستاذ (C.Harrington) الى ان يكتب فصلا تحت عنوان(التاريخ الاصطفائي للتربية والانثروبولوجيا)يناقش فيه الحسابات النظرية والوصفية المقيدة على وجه الحصر لأنثروبولوجيا التربية بالطريقة التي تم توارثها من التقاليد المدرسة البواسية، اذ عدها نقطة ضعف جوهرية في تطور هذا الحقل المعرفي نتيجة التزامها بتلك التقاليد، وانه من الخطأ في ان عدداً كبيراً من الباحثين التربويين قد اتقنوا أساليب الأنثروبولوجيا ولكن ليس نظريتها، وأهمية توضيح الصلة بين بناء النظرية (اي الإعلام عن الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا) والإثنوغرافيا التي هي في صلب مفهوم الافرادية[[1]](#footnote-2)\* (Harrington 1982: p323) . اذ اتجه رائد المدرسة الانثروبولوجية الامريكية الأستاذ (F.Boas) ومن ثم تلاميذه مع بدايات القرن الماضي الى جمع مادة إثنوغرافية هائلة عن سكان أمريكيا الأصليين (الهنود الحمر) من سمات ثقافية وطقوس واساطير وحكايات...وتنظيمها في مركبات او أنماط ثقافية او تدونها وتسجيلها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_ يرى الأستاذ ( T.L. McCarty) في مقالته (أفكار او تأملات في حقل انثروبولوجيا التربية-الماضي والحاضر والمستقبل) انه من المسلم به من أن البداية الرسمية لأنثروبولوجيا التربية قد أخذت مكانها في الولايات المتحدة الأمريكية في خمسينيات القرن الماضي ومع ذلك، لا ينبغي للباحثين تحديد بداية رسمية لأنثروبولوجيا التربية من خمسينيات القرن الماضي، وانما يمكن تعقب بعض الدراسات والمنظورات المعنية بمسائل التربية والتعليم مع التطور الأكاديمي للأنثروبولوجيا وتبلورها كحقل معرفي متخصص بدراسة الإنسان(McCarty 2005: p299).

وتوضح الاستاذة (E. Eddy)، الى ان التمييز للسنوات التأسيسية، كان من خلال اعمال علماء الأنثروبولوجيا الثقافية ودراساتهم التي تعاملت مع انساق التربية وكذلك مع قضايا التطبيع الثقافي(Enculturation) المتناظرة مع المدة الزمنية المحددة بين (1925-1954) وقد وفرت قائمة واسعة من علماء الأنثروبولوجيا الذين توزعت اعمالهم بطرق مختلفة ذات طابع رسمي لانساق التربية وقضايا التطبيع الثقافي. ومع ذلك، عدت العلاقة منذ البداية، بين الممارسة الإثنوغرافية في البيئات التعليمية والتنظير الأنثروبولوجي عن مسائل المعرفة أو نقل الثقافة مصدراً للنقاش والجدل بين علماء الانثروبولوجيا، وهذا ما دفع الأستاذ (C.Harrington) الى ان يكتب فصلا تحت عنوان(التاريخ الاصطفائي للتربية والانثروبولوجيا)يناقش فيه الحسابات النظرية والوصفية المقيدة على وجه الحصر لأنثروبولوجيا التربية بالطريقة التي تم توارثها من التقاليد المدرسة البواسية، اذ عدها نقطة ضعف جوهرية في تطور هذا الحقل المعرفي نتيجة التزامها بتلك التقاليد، وانه من الخطأ في ان عدداً كبيراً من الباحثين التربويين قد اتقنوا أساليب الأنثروبولوجيا ولكن ليس نظريتها، وأهمية توضيح الصلة بين بناء النظرية (اي الإعلام عن الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا) والإثنوغرافيا التي هي في صلب مفهوم الافرادية[[2]](#footnote-3)\* (Harrington 1982: p323) . اذ اتجه رائد المدرسة الانثروبولوجية الامريكية الأستاذ (F.Boas) ومن ثم تلاميذه مع بدايات القرن الماضي الى جمع مادة إثنوغرافية هائلة عن سكان أمريكيا الأصليين (الهنود الحمر) من سمات ثقافية وطقوس واساطير وحكايات...وتنظيمها في مركبات او أنماط ثقافية او تدونها وتسجيلها

(بوصفها تمثل خصائص الثقافة الأساسية الممتدة الى زمن موغل بالقدم) قبل ان تتعرض للانقراض او التحول الى أنماط جديدة بفعل عمليات التغير. الا انه مع هذا يمكن التنبؤ بالأفكار التي عرضها رواد المدرسة الأنثروبولوجية الامريكية لاسيما الأستاذ (F. Boas) بثلاثة أفكار او تصورات على وجه الخصوص لأنواع الاهتمامات التي جاءت من اجل تمييز هذا الحقل المعرفي في العقود اللاحقة:

1. التحدي الذي يتجه نحو تأكيد اطروحة (F. Boas) في عدم ثبات المعتقدات السائدة بالخصائص او السمات العرقية وإصراره بان الأشكال الثقافية لا تختزل الى العرق.
2. لفت الانتباه إلى الكيفية التي تربط التطورات الجسدية بالحالة الاقتصادية والظروف الأسرية.
3. التذكير من أن البحث الأنثروبولوجي قد يساعد على فهم القضايا الاجتماعية، فإنه بنفس الوقت ليس لديه أي قدرة على التنبؤ (Yon 2003: p414).

وعلى العموم، توضح أفكار وتصورات (F. Boas) أهمية العلاقة التي ينبغي اقامتها بين الأنثروبولوجيا والتربية. اذ خصص في كتابه الأنثروبولوجيا والحياة المعاصرة (1928) فصلاً كاملاً لهذه الاهمية. ويشير إلى عد الاقتراحات او العروض التي تقدمها الأبحاث الأنثروبولوجية، وسيلة لتحديد ما يمكن توقعه من الأطفال بمختلف الأعمار، وهذه المعرفة هي ذات قيمة كبيرة لتنظيم الوسائل التعليمية. كما تحدث عن البيانات المعيارية من أجل التنمية، والفروق بين الجنسين والاختلافات العرقية، والاختلافات في الظروف البيئية التي يجب أخذها بعين الاعتبار، وتطرق الى بعض مسائل النقل الثقافي، ويشير إلى أن المدارس الحكومية عندنا هي بالكاد واعية للصراع بين الأفكار الديمقراطية والحرية والمرونة من جهة، والإكراه من جهة اخرى، انها(المدارس)تغرس ردود الفعل التلقائي للرموز عن طريق احتفالية وطنية، وفي كثير من الحالات عن طريق النداء الديني غير المباشر، وغالبا من خلال ردود الفعل التلقائية لسلوك المعلم الذي يحتذى به، ويشير إلى أن التقاليد التي تنقل القيم والأخلاق هي غير قوية بشكل خاص بين المفكرين، وأن الجماهير تستجيب بسرعة وبقوة لمطالب وقت الدراسة اكثر من الطبقات المتعلمة(Hodges, D. J 2011: p30) .

وعدت الدراسات المبكرة التي قدمها كل من الاستاذة (M. Mead) عن النمو والبلوغ في كل من غينيا الجديدة وسموا، والأستاذ (M. Herskovfitz) عن اعمال الانسان لاسيما الزنوج المهاجرين الى أمريكيا والأستاذ (R. Firth) عن التنظيم الاجتماعي في المجتمعات التقليدية على وجه الخصوص موضوعات اساسية للتوجهات النظرية فيما بعد لعملية النقل الثقافي من خلال دراساتهم التي وجهت اهتمامها الى عمليات رعاية الطفل والتطبيع الثقافي والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات التقليدية. ويركز هذا النوع من الدراسات تقريبا وبشكل غير محدود على الأنماط التفاعلية في الفصل الدراسي متجاهلة قوى المجتمع الواسعة التي قد تولدها حتى وان كانت تلك القوى في البيت او المدرسة او المجتمع المحلي، أي التركيز على عملية التواصل اكثر من علاقات البناء الاجتماعي، وخير ما يستشهد به هو تلك المقاربة التي عقدتها الاستاذة (M.Mead) للمدرسة في الثقافة الأمريكية، اي صورة المدرسة الحمراء الصغيرة(little red schoolhouse)[[3]](#footnote-4)\* كرمزللاستقرار والديمقراطية والتغيير التدريجي في المجتمع الأمريكي، وجنبا إلى جنب مع المدرسة في المدينة الحديثة، بوصفها تفتقر إلى شخصية المعماري للأطفال المهاجرين الفقراء والمناظرين لهم، وان هذا التباين بين المناطق الريفية والحضرية والحديثة والتقليدية اندرجت ضمن مجاز المعاصر/البدائي، التي أثارت أيضا افتراضات بشأن باثولوجية الثقافة الأميركية المتناقضة مع الوئام والاستقرار لمفهوم ثقافات بدائية التي شغلتها في أماكن أخرى. يشير مثل هذا الاهتمام في تعليم الأطفال الأمريكيين إلى أن بدايات إثنوغرافيا التعليم في أمريكا الشمالية قد انبثقت من الانشغال التقليدي للأنثروبولوجيا مع الناس الآخرين (او ما يعرف بالبدائيين)، في إطار النموذج المهيمن لمفهوم النسبية الثقافية وان كان في صيغة المحلي او في حدود الوطن، الذي يعكس أيضا الاهتمام بالشخصيات المتباينة للمدارس وكذلك أهمية مفهوم الشخصية والتغير الثقافي بوصفها الموضوعات المهيمنة في الفترة التكوينية.

وفيما يرتبط بالبحوث الإثنوغرافية، قادت التنظيرات المبكرة إلى تقويض الافتراضات السائدة عن الخصائص الأولية او الابتدائية للنوع البشري[[4]](#footnote-5)\*\* (primodialism)، اذ أصرت على المنهجية التي تسترعي الانتباه إلى الكيفية يتم بها إنتاج المجموعات اجتماعيا. وعلى سبيل المثال بزعزعة الافتراضات حول الخصائص الفطرية الرسية للنوع البشري التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وقد تم التعامل معها وفقا للحساب الاتي: كيف تبدو المعاني الفطرية وكيف تديم استمرارها ثقافيا.

ويوضح(C.Harrington)عدداً من الدراسات من اجل اثبات تصوراً مفاده: استمدت الأنثروبولوجيا والتربية بداياتها كالفرع المعرفي من المقاربة او الدراسة اﻹثنولوجية. ولتبرير هذا التصور، يستشهد بأعمال

\* بناية حمراء اللون ذات قاعة واحدة مفتوحة، انتشرت في المناطق البعيدة عن مراكز التحضر في سانت فنسنت وجزر غرينادين، تم توظيفها كمدرسة ابتدائية للأطفال المناطق المجاورة، اذ عملت(M. Mead) على تقديم وصفا اثنوغرافيا لسلوك المعلم والتلاميذ وكيفية الالتحاق بها، وكيف ان المعلم يعرف اباء وامهات التلاميذ والعكس...

\*\* الابتدائية او الاولية: الإخلاص الى او الاستمرار في الحالة الابتدائية، أي انها شعور لا يتجزأ من الفخر، والتفاني، والعاطفة التي تمد الناس نحو الرس/العرق والدين واللغة والتاريخ، والبلد الاصلي.

أمريكا الشمالية**.** وقد استعمل عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي (G. Pettit) في واحدة من أكثر الدراسات المهمة (التعليم البدائي عند هنود أمريكيا الشمالية) توجهات المدرسة البريطانية من خلال عرض عدداً من الاسئلة: مَنْ المسؤول عن العملية التربوية؟ وماذا ومتى وأين تتم هذه العملية؟ عند النظر الى اليات التداخل الثقافي للهنود الحمر في دور اخ الام(الخال) في العملية ووظيفة الاسماء ودور الاقنعة والتعامل مع القوى فوق الطبيعية والشامان والارواح، فضلا عن طقوس الطعام ودلالته...(Pettit 1946: pp1-3)

والملاحظ تراجع مفهوم البناء الاجتماعي للمدة الممتدة من سبعينات الى ثمانينات القرن الماضي، بشكل متزايد واعتراف الباحثين بأنه غير المستقر، والمتناقض، ولم يعد مواكبا لحالة التغير الذي تشهده المجتمعات، فكان الاتجاه نحو الاثنوميثودولوجيا (Ethnomethodology) على انها مطلبا منهجيا التي تركز على الحياة اليومية وعلى ما يبدو روتينياً، ولكن قد تحدت بالأنشطة العملية للحياة اليومية، والتركيز على أسئلة أكبر من الابنية الاجتماعية. وكان استعمالها كأداة لدراسة طقوس المرور في الحياة المدرسية والفصول الدراسية لأجل التحقق، وفي لغة الباحث الاثنوميثودولوجي، المنطق العملي (practical reasoning) الذي يدعم التفاعلات الاجتماعية. وتسليط الضوء على آلية تنشيط الثقافة المدرسية وكيفية تأكيد المخطط التنظيمي للمجتمع المنتج في الطلاب والتفاهم الضمني والقبول بوضعهم الاجتماعي الذي تشكل كحقيقة اجتماعية موضوعية كما هو الحال في دراسة (H. Mehan) عن دروس(حصص) التعلم: التنظيم الاجتماعي في الفصول الدراسية(Mehan 1979: p1)**.**

وهناك العديد من الكتب والدراسات والمقالات التي انجزها علماء الأنثروبولوجيا حتى منتصف القرن الماضي وقبل تبلور حقل انثروبولوجيا التربية واثنوغرافيا التعليم أكاديميا عن التنشئة الاجتماعية للطفل – التربية بالمعنى الكلي — في الثقافات المختلفة. وواحداً من الكتب الأكثر دلالة على الأبحاث المقارنة هو كتاب كل من الاساتذة (J.W.M Whiting and I.L Child) عن تدريب الطفل وشخصيته عام 1953.وكتاب الاستاذ (M. Spiro) عن أطفال الكيبوتز(Kibbutz) الذي يقدم في تحليلاً مميزا جداً للتنشئة الاجتماعية والتعليم في إسرائيل...اذ تعد هذه الاسهامات التي قام بها علماء الانثروبولوجيا عن التنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافي للأطفال في بيئات ثقافية مختلفة مساهمات بحثية وزيادة معرفتنا للكيفية التي تشرح وظائف التعليم واهميته في الحفاظ على الاستمرارية الثقافية، وان ركز قليل منها على عملية النقل الثقافي ولم تكن معنية صراحة مع قضايا التغير الثقافي.

ويرى بعض علماء انثروبولوجيا التربية من ان إزالة الغموض عن مهام المدرسة ضمناً هو لنقد الإيديولوجيات المهيمنة للحراك الاجتماعي ولفت الانتباه إلى دور المدارس في تطبيع الظلم الاجتماعي، اذ تؤكد المدارس في الولايات المتحدة، وتعكس، وتعزز الفوارق الاجتماعية الموجودة في البنى الاجتماعية للمجتمع. وبعبارة أخرى، فإن المدارس ليست محركات كبيرة لمعادلة المساواة الاجتماعية القائمة، بدلا من ذلك، أنها تعمل على تعزيز الفوارق الطبقية الاجتماعية التي أجريت في الماضي واستمرت بطرق أكثر وضوحا في الوقت الحاضر

1. \* الافرادية او التفريدية Idiographic (لفظة مشتقة من الاصطلاح اليوناني فرد بالذات او نفسه oneself) أي المنهجية العلمية التي تسعى الى فحص الحالات الفردية من خلال الاستدلال الاستقرائي، ويتم الاستدلال على القواعد العامة من الحالات الفردية، ويستعمل الاصطلاحان في العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء حسب توجهات كل علم في البحث. والمقصود في أعلاه ان الإثنوغرافيا تمثل تجربة الباحث الانثروبولوجي واستراتيجيته في البحث التي تتباين بتباين الباحثين في الانثروبولوجيا. [↑](#footnote-ref-2)
2. \* الافرادية او التفريدية Idiographic (لفظة مشتقة من الاصطلاح اليوناني فرد بالذات او نفسه oneself) أي المنهجية العلمية التي تسعى الى فحص الحالات الفردية من خلال الاستدلال الاستقرائي، ويتم الاستدلال على القواعد العامة من الحالات الفردية، ويستعمل الاصطلاحان في العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء حسب توجهات كل علم في البحث. والمقصود في أعلاه ان الإثنوغرافيا تمثل تجربة الباحث الانثروبولوجي واستراتيجيته في البحث التي تتباين بتباين الباحثين في الانثروبولوجيا. [↑](#footnote-ref-3)
3. \* بناية حمراء اللون ذات قاعة واحدة مفتوحة، انتشرت في المناطق البعيدة عن مراكز التحضر في سانت فنسنت وجزر غرينادين، تم توظيفها كمدرسة ابتدائية للأطفال المناطق المجاورة، اذ عملت(M. Mead) على تقديم وصفا اثنوغرافيا لسلوك المعلم والتلاميذ وكيفية الالتحاق بها، وكيف ان المعلم يعرف اباء وامهات التلاميذ والعكس... [↑](#footnote-ref-4)
4. \*\* الابتدائية او الاولية: الإخلاص الى او الاستمرار في الحالة الابتدائية، أي انها شعور لا يتجزأ من الفخر، والتفاني، والعاطفة التي تمد الناس نحو الرس/العرق والدين واللغة والتاريخ، والبلد الاصلي.

   الاستاذ (J. Whiting) الموسومة بـ: لكي تصبح من قبيلة الكاوما\* (Kwoma): التعليم والتعلم في قبيلة بغينيا الجديدة عام 1941، ودراسة(G. Pettit)عن التعليم البدائي في أمريكا الشمالية عام 1946، ودراسة كل من(Whiting, J. & I. Child) عن تدريب الطفل والشخصية عام 1953، التي توضح واحدا من المناهج الأساسية في هذا الحقل المعرفي(أي عملية النقل الثقافي)، اذ بناءاً على معطيات هذا المنهج يمكن الوصول الى الانساق الثقافية من خلال أساليب التعليم والتعلم(Harrington 1982: p327).هذا يعني ان هناك العديد من الدراسات الإثنوغرافية التي أظهرت القليل من الاهتمام بالقضايا النظرية والمقارنة مما دفع بعض الباحثين الى الاعتقاد بان الانثروبولوجيا هي اللفظة المرادفة للاثنوغرافيا.

   ويعطينا تحليل الاستاذة (D. Eggan) في بحثها الموسوم بـ(أحلام هنود الهوبي في المنظور الثقافي) عام 1946 نظرة ثاقبة للتربية والاستمرارية الثقافية بين هنود الهوبي(Hopi) في أمريكيا الشمالية وعن وظائف التعليم ودوره في الحفاظ على الاستقرار بالنسبة للحالات التي يكون فيها الضغط الخارجي للتغير كبير. اذ توضح في بحثها الوضع اللغوي القائم ومكانة لغة هنود الهوبي في المجتمع المعاصر، فضلا عن الجهد الكامن بين الأجيال الأصغر والأكبر سنا نتيجة التحول الذي تمر به اللغة. استندت (D. Eggan) إلى دراسة إثنوغرافية على المدى الطويل والاعتماد على توجهات العمل الأنثروبولوجي في وقت مبكر لممارسات التنشئة الاجتماعية ومفهوم التطبيع الثقافي العاطفي (Affective enculturation)- الذي تعني به ذلك الالتزام العاطفي بالمثل العليا على انها الكيان الكامل عندهم - لأن كلا من عمليات التغذية والدعم التي تقدمها التنشئة والتطبيع هي التي تعيد اكتساب لغتهم. هذا التعلق العاطفي، تم رعايته في المقام الأول من خلال التقاليد الشفاهية، التي تمكن الشباب من الاتصال بعموم مجتمعهم ولتحديد كيانه والمساهمة في المصالح العامة. اذ تظهر ممارسات الشباب اللغوية في هذا السياق (التنشئة والتطبيع)، وتؤثر في تلك العلاقة المباشرة التي تظهر بين اللغة والثقافة والسلوك من خلال الممارسات الثقافية واللغوية. ويستند بروز هذه العلاقة بشكل مستمر من الممارسات الثقافية المنصوص عليها في التقاليد الشفاهية والتشجيع والدعم الملموس للشباب في إعادة تعلم تراثهم اللغوي باعتباره جزءا أساسيا من حياتهم اليومية وهوياتهم. وتخلص الدراسة إلى ادعاء نظري يعد اللغة كممارسة ثقافية في هذا السياق(Grunebaum 1966: pp237-240)

   ومما له أهمية أيضا توجه البنائية-الوظيفية البريطانية(الكلاسيكية)، التي عرضت نموذجا شاملا لإشراك التنشئة الاجتماعية للطفل في بيئات ينظر إليها على أنها قد تشيدت من خلال المعايير الثقافية والنظم التقليدية، اذ ظهرت مثل هكذا نماذج شاملة مشيدة بحثيا في وقت مبكر عن التربية في ثقافات هنود

   \* قبيلة تسكن في شمال شرق غينيا الجديدة وتحديدا في مرتفعات(Peilungua) الى الشمال من نهر سيبك. [↑](#footnote-ref-5)